

التمظهرات الدينية في رحلة ابن جبير الأندلسي

سيدمهيدي مسيق*

شهرام دلشاد**

الملخص

الرحلة مادة أدبية حكاية من الأنواع الأدبية الذاتية التي تتجلى فيها نفسيات الرحالة واتجاهاته الدينية ونزعاته الاجتماعية وأساليبه الفنية. وقلما نجد رحلة يصوّر مشاهداته بمنأى عن هذه الاتجاهات والنزعات، فمن ثم اقترن الخطاب في الرحلة بالسّمات الذاتية لصاحبها. ابن جبير الكناني رحلة أندلسي يحظى الخطاب في رحلته بتمظهرات دينية وإسلامية وذلك لأنّه كان شخصية دينية وفقهية ودافعه الأساس من هذه الرحلة هو السفر إلى مكة المكرمة وأداء فريضة الحج فتعد رحلته هذه من الرحلات الحجازية التي غلبت عليها النزعات الدينية والومضات الإسلامية. وصور فيها التمظهرات الإسلامية كالأمكنة والمعتقدات والشخصيات الدينية والفرق الإسلامية. إنّ هذه الدراسة بالاعتماد على المنهج الوصفي - التحليلي هدفت إلى التحري عن هذه التمظهرات وتوصلت إلى أنّ لهذه التمظهرات حضورا واسعا في رحلته والتي تتراءى لنا في الالتزام بالواقعية، والسيماية الدينية للعناوين، ووصف الأمكنة الإسلامية، وتوظيف الشخصيات الدينية، وتصوير العقائد الإسلامية، والتحيز للممالك الإسلامية.

الكلمات الرئيسية: التمظهرات الدينية، الملامح الإسلامية، أدب الرحلة، ابن جبير.

١. المقدمة

شغلت المظاهر الإسلامية في الرحلات الإسلامية المتبقية من القرون الأولى من الهجرة إلى القرون الوسطى حيزا واسعا وذلك لتقدم البلدان الإسلامية في تلك الأيام وانتعاش حضارتها وإعمار مدنها وازدهار أوضاعها السياسية والاقتصادية، حيث إنّ الرحالين لما زاروا هذه الممالك المتمدنة احتاروا أمام آثارهم

* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بوعلبي سينا، همدان (الكاتب المسؤول)، Smm.basu@yahoo.com

** خريج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة بوعلبي سينا، همدان، sh.delshad@ymail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٦/١/٨، تاريخ القبول: ١٣٩٦/٤/٩

الحضارية وثقافتهم الثرية ومعايشتهم السلمية وقاموا بتسجيل هذه الأحوال والبيئات الخصبة فمن ثمّ قد غلب الخطاب الديني على هذه الرحلات وتكدست فيها المظاهر الإسلامية. أما في الرحلات الحديثة فقد تقلص حضور الثقافة الإسلامية وتضاءل الخطاب الديني بعد أن غلب عليها خطاب الثقافة الغربية وبدأ الرحالون يجوبون البلاد الغربية ويتخلون عن الأقطار الإسلامية بحيث إنّ الرحلات التي كتبها المسلمون في العصر الحديث قد حفلت بمعلومات عن الغرب وثقافته وتاريخه وحضارته، خلافاً للرحلات القديمة وبخاصة الأندلسية منها التي تميزت بروحها الإسلامية ومظاهرها الدينية. فمن ثمّ تعد الرحلات القديمة مخزوناً تراثياً جماً يزودنا بمعلومات وفيرة عن أوضاع الإسلام والملاحم الدينية في تلك الأيام.

تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن مميزات الخطاب الديني ومظاهره في رحلة ابن جبير الكنايني التي تعد من الرحلات البالغة الأهمية في التراث العربي وتهدف إلى تبيين أسلوب الرحالة في رحلته وكيفية تعامله مع القضايا الدينية والمظاهر الإسلامية. تعود أهمية هذه الرحلة إلى التظاهرات الدينية فيها والمعلومات المفيدة التي تقدمها عن الحروب الصليبية وعن الأحداث التي شهدتها المجتمع الإسلامي قبيل الزحف المغولي. قد بدأ ابن جبير رحلته سنة ٥٧٩ للهجرة، قبل الزحف المغولي الشرس الذي بدأ سنة ٦١٦ للهجرة وامتد حتى نهاية القرن السابع الهجري. وسقطت من جرائه بغداد حاضرة المملكة الإسلامية سنة ٦٥٦ في أيدي التتار. والواقع أن العالم الإسلامي بعد هذا الزحف قد تعرّض للويلات والمصائب الحمة التي حوّلتها من الممالك المزدهرة والمعمورة إلى الممالك الزائلة والآثار البالية. والحضارة الإسلامية التي وصفها ابن جبير في رحلته بالإعجاب أصيبت بعد هذه الويلات بالتدريج والتدهور. إن رحلة ابن جبير تعد مصدراً هاماً للاطلاع على مكونات الحضارة الإسلامية من الثقافة والأمكنة والأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. فمن خلال دراسة هذه التظاهرات نحاول أن نجيب على السؤالين التاليين:

١. ما هو أهمّ التظاهرات الدينية في رحلة ابن جبير؟

٢. ما هو موقف ابن جبير من المعالم الإسلامية؟

٢. خلفية البحث

قد ألفت دراسات شتى عن رحلة ابن جبير، منها: كتاب «رحلة ابن جبير الأندلسي، دراسة في الأسلوب» ألفه إبراهيم عوض وارتكز البحث على السمات الأسلوبية للرحلة ورأى الكاتب أن هذه الرحلة أنفس من رحلة ابن بطوطة وأكثر أهمية منها. هناك كتاب آخر معنون بـ«رحلة ابن جبير؛ دراسة تركيبية وصفية» للباحثة نهلة الشقران التي بحثت فيه عن القيمة اللغوية لهذه الرحلة، وما تضمنته من أساليب تعكس شخصية الرحالة. فدرست الجملتين الفعلية والاسمية عنده، ثم تناولت تراكييب متكررة في

نصه، كأسالیب التعجب والدعاء والعدد، وانتهی الكتاب بوضع معجم صغیر خاص بمفردات ابن جبیر فی رحلته. هناك كتاب آخر للباحثة نفسها المعنون بـ «خطاب أدب الرحلات فی القرن الرابع الهجري». جاء هذا الكتاب فی ثلاثة فصول: الرحلات فی القرن الرابع الهجري، وأبنیة الخطاب فی أدب الرحلات، وآلیات الخطاب فی أدب الرحلات. وكتاب إحسان عباس بعنوان «دراسة فی الرحالة؛ ابن جبیر الأندلسی البلسنی الكنانی وآثاره الشعریة والنثریة». جمع هذا الكتاب بین دفتیه مباحث شتی عن حیاة ابن جبیر وشعره ونثره وألقى الضوء علی تراثه وأسلوبه الذي یمتاز بالكثیر من الحویة وسهولة التعبير.

هذه الدراسات وغيرها قد ارتكزت علی أسلوب الكاتب المتمیز والأدبی. وهناك دراسات أخرى تناولت مضمونها منها مقالة «أحوال الحجاز فی ضوء رحلة ابن جبیر» بقلم یاسر نور. أما دراستنا هذه فقد فتمیزت فی كونها ركزت علی أوصاف ابن جبیر عن الحجاز وعن الأوضاع الدینیة فیها وحاولت أن تبین الخطاب الغالب فی الرحلة وهو الخطاب الدینی بكلّ تمظهراته وتجلياته.

۳. نبذة عن ابن جبیر ورحلته

هو أبوالحسین محمد بن أحمد جبیر الكنانی، الأندلسی، الشاطی البلسنی (ت ۶۱۴ هـ / ۱۲۱۷م). ولد فی بلسنیة وسمع من أبیه ومن أبي عبدالله الأصبلي، وأبي الحسن بن أبي العیش، وأخذ عنه القراءات وعني بالأدب وبلغ الغایة فیہ وتقدم فی صناعة القریض والكتابة (المقری، ۱۹۶۸: ۳۸۲/۲). قام ابن جبیر بثلاث رحلات. خرج فی الرحلة الأولى سنة ۵۷۹ هـ من غرناطة إلى سبته ومنها ركب البحر إلى الإسكندریة ثم توجه إلى مكة عن طریق عیذاب وجددة، فحج وزار المدینة والكوفة وبعاد والموصل وحلب ودمشق وركب البحر إلى صقلیة عائداً إلى غرناطة عام ۵۸۱ هـ وقد استغرقت رحلته سنتین سجّل فیها مشاهداته وملاحظاته بعین فاحصة فی یومیاته المعروفة برحلة ابن جبیر ثم أتبع هذه الرحلة برحلة ثانية وثالثة (العفیفی، ۲۰۱۰: ۲۸۷).

أما رحلته الثانية فقد دفعته إليها أبناء استعادة بیت المقدس من الصلیبیین من قبل السلطان صلاح الدین الأیوبی سنة ۵۸۳ هـ فشرع بهذه الرحلة سنة ۵۸۵ هـ وانتهی منها سنة ۵۸۶ هـ (حمیدة، ۱۹۹۵: ۴۱۰). أما رحلته الثالثة فكانت إثر وفاة زوجته التي كان یحبها حباً عمیقاً، فدفعه الحزن علیها إلى القیام برحلة تالفة یروح بها عما ألمّ به من حزن علی فراقها، فخرج من سبته إلى مكة وبقي فیها فترة من الزمن ثم غادرها إلى بیت المقدس والقاهرة والإسكندریة، حیث توفي فیها سنة ۶۱۴ هـ (المصدر نفسه: ۴۱۰). ولم یترك لنا ابن جبیر إلا حدیثه عن رحلته الأولى.

وصفه لسان الدین بن الخطیب فی كتابه «الإحاطة فی أخبار غرناطة» بأنه كان أديباً بارعاً وشاعراً مجیداً سرری النفس کریم الأخلاق، لكن شهرته لم تقم إلا علی كتابه المعروف برحلة ابن جبیر، الذي

وضعه بعد أن قام برحلات ثلاث أهمها رحلة استغرقت أكثر من ثلاث سنوات، بدأها يوم الاثنين في التاسع عشر من شهر شوال سنة ٥٧٨هـ. الموافق لليوم الثالث من شهر شباط سنة ١١٨٢م وختمها في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر محرم سنة ٥٨١هـ. الموافق لليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ١١٨٥م (الخطيب، ١٩٧٧: ٢٣١/٢).

أهم ما يميز رحلة ابن جبير أنها مكتوبة بشكل مذكرات يومية مع كل مشهد وكل بلدة مر بها ابن جبير باليوم والشهر. لم يكتب ابن جبير رحلته بشكل كتاب بل كانت أوراقاً منفصلة جمعها أحد تلاميذه ونشرها في كتاب تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار وأطلقت عليه في العصر الحديث رحلة ابن جبير (ضيف، ١٩٩٠: ٧١). ورحلته هذه كتاب نفيس في بابه لا غنى عنه للمؤرخين الجغرافيين، وكل من أراد الاطلاع على أحوال تلك الحقبة. وقد اهتم به المستشرقون فترجم القسم المختص منه بصقلية إلى الفرنسية وطبع سنة ١٨٤٦م، وطبع كلاً لأول مرة في ليدن سنة ١٨٥٢م مع مقدمة للمستشرق رايت. وأعيد طبعه هنالك أيضاً سنة ١٩٠٧م وفي صدره ترجمة لمؤلفه (عكاوي، ١٩٩٤: ١٦٦/٢).

إنّ رحلة ابن جبير تفردت من بين أحوالها الأندلسية والمغربية والمشرقية بمواصفات جمّة نحن في غنى عن تعدادها هنا نظراً لوفرة الدراسات العربية وغير العربية عنها. حسبنا لفت الانتباه إلى «أنها تشكل نقطة انعطاف في تاريخ الرحلة العربية لصياغتها الأسلوبية الراقية وتكريسها جنساً أدبياً مستقلاً» (حسين، ١٩٨٣: ١٣-١٤).

٤. التظاهرات الدينية

سبق أن ذكرنا أنّ الرحلات تهيمن عليها اتجاهات ونزعات مختلفة من السياسية والدينية والأدبية كما هو الحال في كتب التاريخ. على سبيل المثال «تاريخ بيهقي يعتمد على الخطاب العقلي وهو يخالف الخطاب الفولكلوري والسحري» (ميلاني، ١٣٨٥: ٣٩)، ومثله رحلة ناصر خسرو التي ينتشر في طياتها الخطاب العقلي والمعتقدات الاسماعيلية. وهناك عدد غير قليل من الرحلات التي حفلت بالفكرة الإسلامية وسطاً عليها لخطاب الديني كما هو الحال في رحلة ابن جبير التي تحمل في طياتها معالم الحضارة الإسلامية العريقة. وهنا ندرس هذه القضية عبر التظاهرات الدينية الآتية: الالتزام بالواقعية، والسميائية الدينية للعناوين، ووصف الأمكنة الدينية، وتوظيف الشخصيات الدينية، وتصوير العقائد الدينية.

١.٤ الالتزام بالواقعية

تعد الواقعية من عناصر الخطاب الديني وهذا لا يعني أن هذه النزعة تختص بالخطاب الديني وتكون حكراً عليه فإنّ هناك خطابات أخرى كالخطاب الفلسفي والتاريخي والعقلي إلخ تعتمد على النزعة الواقعية.

فتحدث عن هذه النزعة في رحلة ابن جبیر باعتبارها نزعة من النزعات الدينية التي تصدر من الروح الإسلامية للكاتب الذي يتحاشى عدم الواقعية لمخالفتها للدين.

إنّ الرحالین في رحلتهم عادة ينطلقون إلى عوالم الخیال والسحرية وبيذلون جهداً بالغاً للتعبير عن إعجابهم بالحوادث والمشاهد المدهشة التي يشاهدونها طيلة سفرهم. منهم من ينطق عن الحوادث والصور السحرية ويترك سائر المشاهد أو يسعى أن يضفي على الأشياء والحوادث الواقعية صورة سحرية، فهو من هذا المنطلق يستخدم آليات سحرية من الوصف والشخصية والأحداث والعجائبية. قد تجلّت هذه الظاهرة في أسماء هذه الرحلات التي تفوح منه العجائبية كرحلة أبي حامد الغرناطي المسماة بـ«المغرب عن عجائب المغرب» و«تحفة الألباب ونخبة الإعجاب». ورحلة «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزويني ورحلة «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» لابن الوردی ورحلة «تحفة النظّار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار» لابن بطوطة. يبدو من أسماء هذه الرحلات أن أصحابها حاولوا تثبيت المشاهد العجيبة والصور الخارقة في رحلاتهم. وهؤلاء الرحالون حين يرحلون إلى الأمكنة المختلفة التي كانت في حوزة إمبراطورية إسلامية أو غيرها لا يسترعي انتباههم ولا يثير إعجابهم إلا الظواهر العجيبة والسحرية، فيقومون بتسجيلها ليعرضوا رحلة رائعة لأبناء بلدهم فمن ثمّ نجد رحلاتهم حافلة بالأخبار السحرية. أما ابن جبیر فلم يؤلف رحلته على أساس هذه الميزة التي اتسمت بها الرحلات فإنه ابتعد عن التحليق في أجواء الخيال الشائعة عند أقرانه وذلك بسبب غلبة الخطاب الديني في رحلته المسماة بـ«رحلة ابن جبیر» أو «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار». و إن هذين الاسمين خير دليل على أن ابن جبیر لم يسرد لنا الأخبار الغريبة والمشاهد الخارقة التي اعتاد عليها سائر أصحاب الرحلات. وانطلاقاً من هذا أنّ معظم الرحلات اتسمت بالميزة العجائبية أما رحلة ابن جبیر فقد ابتعدت قدر الامكان عن الأخبار العجيبة والمشاهد السحرية وتحاشت عن الخيال المفرط. ونحن نعرف أن الالتزام بالواقعية ورعاية حدودها من مظهرات الخطاب الديني الذي دعا إليه الإسلام وخالف الخرافات والشعوذات [١]. فمن ثم يرى النقاد أن الأدب الإسلامي يتميز بالابتعاد عن الخيال والعجائبية ويدعو إلى «الالتزام بالواقعية والبعد عن الخيال المبالغ فيه» (عبدالفتاح، ١٤٢٢: ٦٧). وشخصية ابن جبیر الدينية قد دفعته إلى الالتزام بالواقعية كأحد المقومات الرئيسة للدين وبخاصة دين الإسلام. وحين نعتبر الرحلات -لحضور مادة أدبية قوية فيها- من الأجناس الأدبية فلا يجوز لنا أن نجعل جميعها في عداد الأدب الإسلامي وذلك لعدم التزامها بالواقعية كأحد مقومات الأدب الإسلامي وإن اعتبرنا رحلة أمثال ابن فضلان أو أبي حامد الغرناطي من الرحلات الإسلامية فلا ينبغي أن ندرجها تحت حقل الأدب الإسلامي بسبب ما فيها من المؤشرات العجائبية الطاغية عليها. أما رحلة ابن جبیر بسبب التزامها بالواقعية في وصف المشاهد وسرد الأخبار فيمكن إدراجها في زمرة الأدب الإسلامي.

والواقعية في رحلة ابن جبير لا تعني أنه سار على أطر الأدب الواقعي ومحاوره (real) كمدرسة أدبية حديثة لها قواعدها الخاصة، مثل شرح الحوادث والأمكنة شرحاً فضفاضاً كاملاً أو إدخال العناصر العلمية في بيان الحوادث وإلخ. ونقصد منها أنه لم يؤسس رحلته على أساس الخيالات الباطلة وغير الواقعية التي لا يلائم تعاليم الإسلام. وإنه حين يقدم إلى مدينة، يقوم بوصف المدينة وأوضاعها الماضية والحالية ثم يعمد إلى وصف أبنيتها والأعراف السائدة عليها وقد يلمح إلى الأوضاع السياسية والأخلاقية فيها ولا يستعرض المشاهد العجيبة والعقائد الخرافية التي يعتنقها الناس في كل بلدة إلا في الندرى ولا يتطرق إلى الأخبار العجيبة وتكثيف رحلته بمثل هذه العجائب والغرائب غير الإسلامية. إذ أنجد في رحلته تدقق الواقعية كما نرى في حديثه عن أهل عيذاب:

وهذه الفرقة من السودان المذكورين فرقة أضلّ الأنعام سبيلاً وأقل عقولاً، لادين لهم سوى كلمة التوحيد التي ينطقون بها إظهاراً للإسلام، ووراء ذلك من مذاهبهم الفاسدة وسيرهم ما لا يرضى، ورجالهم ونساؤهم يتصرفون عراة إلاخرقاً يسترون بما عورائهم وأكثرهم لا يسترون وبالجملة فهم أمة لأخلاق لهم ولا جناح على لاعنهم (ابن جبير، ١٩٨١: ٤٣).

نرى أنّ ابن جبير استغرب واحترق من عادات هذا القوم وتقاليدهم وتحدث عنها ولكنه لا يجيد عن الواقعية ونرى في استغرابه أيضاً ومضات دينية في تركيزه على ضلالتهم في دينهم وشعائرهم وأزيائهم التي تبعد عن القيم الإسلامية فاستغرابه لا يخرج عن مسار الواقعية. وقد تتسم رحلته بسلمات عجائبية ولكنه يضيف عليها سمة دينية ولا يخرج من الخطاب الديني كالنموذج التالي الذي يتحدث فيه عن سبب تسمية مدينة حلب ويقص قصة سحرية:

من شرف هذه القلعة أنه يذكر أنها كانت قديماً في الزمان، الأول روة بأوي إليها إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم، بغنيمات له فيحلبهما هنالك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب، والله أعلم (ابن جبير، ١٩٨١: ٢٠٢).

هناك قصص مختلفة في أسباب تسمية هذه المدينة وسائر المدن، ولكن هذه القصص لا تبني على وثيقة تاريخية وإنما تدخل في باب الأدب السحري. وقلما نجد ابن جبير يتحدث عن هذه القصص وربما قد ذكر هذه القصة لصبغتها الدينية وهناك قصص أخرى لا تبني على أصول دينية فلم يذكرها ابن جبير واكتفى برواية هذه القصة السحرية ذات الجذور الدينية. ومن الواضح أنّ ابن جبير لا يصدق هذه الأخبار العجيبة ولا يتحدث عنها من تلقاء نفسه ومن صميم اعتقاده وإنما نسبها إلى معتقدات القدماء وعرضها أقوالاً مسموعة عن هذه المدينة. وفي النموذج التالي يذكر ما تحظى به مدينة الرستن، من كنوز كثيرة ونسب هذا الخبر إلى الروم القسطنطينيين:

«وعليه مدينة رستن التي حرّبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأثارها عظيمة ويذكر الروم القسطنطينيون أن بها أموالاً جمّة مكنوزة» (ابن جبیر، ۱۹۸۱: ۲۰۷). أو في حديثه عن منزل يعود إلى اليهود: «وبهذا الموضوع المذكور أثر لبنیان قدم ذكر لنا أنه كان منزلاً لليهود فيما سلف» (المصدر نفسه: ۹).

ومن الواضح أنه حين يتحدث عن القضايا غير الموثوق بها ذات البصمات السحرية لا يعرضها كظاهرة حتمية فإنما يسندها إلى الآخرين و يقوم بصرف النقل. ونجمل هنا حديثنا أنّ رحلة ابن جبیر لا تكون ساحة لعرض العجائب والخرافات وإنما تحاشت عن الحوادث والآراء التي لا أساس لها من الصحة والحقيقة، ورفض الخرافات رفضاً كلياً وتسبب أسلوبه هذا في تدعيم الخطاب الديني في رحلته.

۲.۴ السيميائية الدينية للعناوين

قبل اللوح في دراسة العناوين والسيميائيات الأخرى في رحلة ابن جبیر التي يتجلى فيها الخطاب الديني، يمكن التعرّيج على أهمية العنوان في استيفاء معاني النص وأفكار الكاتب. ثمة علاقة وطيدة بين العنوان والنص ذاته و«العنوان هو أحد تقنيات النص الموازي التي لا تزال تشكل مدخلاً لدراسة النص الأدبي بوصفه مصطلحاً إجرائياً ناجحاً في مقارنة النصّ الأدبي، ومفتاحاً أساسياً يتسلّح به المحلّل؛ للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها» (حمداوي، ۱۹۹۷: ۹۶). والعنوان يعد بؤابة ذات أهمية قصوى لإدراك نوع الخطاب في الأثر.

تشتمل رحلة ابن جبیر على العناوين الكثيرة حيث يجعل الرحالة في صدر كلّ جولة عنواناً خاصاً يدلّ على فحواها وتحمل معظم هذه العناوين رموزاً دينية كما يظهر في العنوان الرئيسي لرحلته المسماة بالرحلة الحجازية التي قصد فيها ابن جبیر أن يسافر إلى الحجاز، التربة المقدسة التي نشأ فيها النبي الأكرم(ص)، وفيها الكعبة المكرمة ومقبرة النبي(ص) وصحبه. وللوصول إليها أسرع الكاتب رحلته ليصل إلى هذه المدينة واستبطاً حين وصل إليها وأسرف في وصف الأمكنة والأشياء التي شاهدها هناك. هذا العنوان الرئيسي للرحلة الذي تفوح منه الروح الدينية يومئ إلى الخطاب الديني والأمر كذلك في سائر العناوين التي نجدها في الرحلة نحو «جامعها الكريم» (۲۱۰)، و«شهر رمضان المعظم» (۲۶۳)، و«شهر شعبان المكرّم» (۲۸۵)، و«مشاهد الشريقات رضي الله عنهن» (۱۹)، و«ذكر الروضة المقدسة» (۱۵۰) وإلخ.

يبدو أنّ لهذه العناوين وظيفة أساسية لنشر النفحات الدينية في الرحلة، إذ يكثر الرحالة من صفات تدلّ على تكريمه للأمكنة الدينية عبر عتبات العنوان ولا تكون هذه العناوين بعيدة عن حفاوة الكاتب بالشؤون الدينية. وهناك عناوين أخرى تدلّ على استيائه الشديد للمذاهب غير الإسلامية وانحيازه إلى

المعتقدات الإسلامية وأقطارها نحو: «مدينة حران حفظها الله» (٢٥٨)، و«مدينة عكة دمرها الله وأعادها» (٢٤٩)، و«مدينة نصيبين، أبقاها الله» (١٩٢)، وعلى هذا النمط يجري في تسمية المدن الإسلامية وذكر مظاهرها.

لا تحمل هذه العناوين في طياتها دلالات سيميائية تدعو إلى التروي والتأويل والاستنتاج وإنما تدلّ بكلّ وضوح على الخطاب الديني وتجلياته الصارخة في شرح الحوادث ووصف الأمكنة وتعامل الكاتب مع المدن والقرى الإسلامية. من المتوقع أن يقف الرحالة موقفاً محايداً من المشاهد التي يصفها. أما ابن جبير بوصفه رحالة مسلماً فيساير الروح الدينية ولا يستخدم العناوين المحايدة ويلزم نفسه أن يدعو للمدن الإسلامية في العناوين التي يختارها لجولاته ويدعو عليها إن لم تكن هذه المدن في حوزة المسلمين.

لقد كان ابن جبير كريم الخلق، يتمتع بعاطفة دينية فكان يختم كلّ كلامه بالدعاء إلى الله تعالى والتوكّل عليه جلّ جلاله كما دفعه تدينه إلى الدعاء للمدن التي مرّ بها، فكان يدعو الله أن يجرس تلك المدن وأن يجرر الختلّ منها. فقال: يجرسها الله، عمّرها الله، وحماها الله وأعادها الله (ابن جبير، ١٩٨١: ٦).

إذاً قد استخدم جملة «حفظها الله» و«أبقاها الله» عند حديثه عن المدن الإسلامية واستخدم جملة «دمرها الله» وما يضاهاها عند حديثه عن المدن غير الإسلامية واستخدم جملة «أعادها الله» حين تحدث عن المدن الإسلامية التي احتلها الكفار والنصارى.

ولا يحتاج القاري إلى قراءة صفحات كثيرة للرحلة ليهتدي إلى نوع الخطاب فإنّه يستشفّ خطابها الديني عبر عتبات العنوان ودلالاته الواضحة. فهذه العناوين تدلّ بوضوح على أنّ صاحب الرحلة رجل مسلم ذو حمية دينية وعاطفة إسلامية كبيرة غلبت على رحلته المشاعر الدينية. ومن الواضح أنّ العنوان يعد آلية من آليات الخطاب تمّ توظيفها في رحلة ابن جبير وانصبت في خدمة الخطاب الديني.

٣.٤ توظيف الأمكنة والأبنية الدينية

إنّ وصف الأبنية والعمارات وعرض معلومات عنها يكون أحد الأغراض الرئيسة للرحلة ويعدّ عنصراً هاماً في تنسيق الرحلة. يسعى الرحالة دائماً أن يعرض أوصافاً كثيرة ودقيقة عن الأمكنة التي مرّ بها طيلة رحلته. وهذه الأمكنة تشمل الأبنية والعمارات التي شاهدها الرحالة في المدينة التي زارها ولكنّه لا يتوقف عند جميعها عادة ويختار ما استرعى انتباهه وأثار إعجابه.

لكلّ رحالة اتجاه خاص في إنشاء رحلته، في بعضها يسود الاتجاه السحري ويطغى وصف الأمكنة السحرية والعجائبية أكثر من بقية الأمكنة وفي بعضها الآخر يسود الاتجاه العلمي والرحالة يعكف على وصف الأمكنة العلمية من المدارس والأوساط الأدبية كما يسود في بعضها الآخر الاتجاه الديني

ویشغل وصف الأبنية الدينية والعمارات الإسلامية مساحة كبرى. أما ابن جبير فلم يترك بناء ولا مكاناً دينياً إلا وصفه وصفاً دقيقاً مسهباً للغاية. وهذا الوصف الحرثي يكون مصحوباً بالتبجيل والتقديس ويسعى أن يقدم له صورة مقدسة تصلح للحرمة والتبجيل. تعد هذه الرحلة من الرحلات الحجازية التي جعل الكاتب الحجاز وسائر أمكنتها المقدسة عرضة لوصفه الفضفاض ولم يتحرج عن إطالة القول في وصف هذه الأمكنة حيث استغرق وصفه لها من الصفحة السابعة والأربعين حتى الصفحة السابعة والأربعين بعد المئة. «لقد شهدت الرحلة الحجازية ذيوماً وصيتاً مستديمين لدى المثقفين الأندلسيين. إنَّ السفر إلى المشرق بغية الحج كانت وسيلة مثلى للتعرف على المجتمعات الإسلامية الشرقية وإتمام الدراسة ولقاء العلماء الفطاحل والأخذ عنهم، ولذلك فإن معظم الرحلات الحجازية تشمل مواضيع وأخباراً وفيرة تطبع عليه الصيغة الاستطلاعية والعجائبية والسفارية معاً؛ إذا كان الرحالة مكلفاً من حكامه بأداء مهام محددة في مرحلة من مراحل سفره. وبلغت الرحلة الحجازية مبلغاً بعيداً من التنوع والجودة في القرنين السابع والثامن للهجرة كما تبرهن مذكرات علي بن محمد الرعيني الإشبيلي (ت. ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م) ومحمد بن عمر ابن رشيد السبتي (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) والقاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت. ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) وخالد بن عيسى البلوي (ت. ٧٨٠ هـ / ١٣٨٧ م)» (غوتيرث، ٢٠١٠: ٥). «إلا أن الرحالة ابن جبير الأندلسي البلنسي هو خير من تتجسد أصالة الرحلة الأندلسية وعظمتها بفضل رائعته «تذكرة الأخبار والاعتناءهم الفائق بوصف الأماكن والمباني والأحوال الجوية، وفوق هذا وذاك التفاتهم إلى المساجد والجوامع وفي مقدمها المسجد الحرام والمسجد النبوي» (نواب، ١٩٩٦: ٧١-٩١).

لما زار ابن جبير المدينة وصف بعض الأشياء وترك بعضها الآخر، وذلك لأن بعضها استلقت انتباهه ووصفها بدقة أما بعضها الآخر فقد مر عليها مروراً ولم يستوف وصفها. وأما المساجد فلها حضور واسع مصحوب بالإسهاب.

وحيث يزور الرحالة دمشق، المدينة الكبرى والعامرة آنذاك، يكثر من الوقوف عند الأمكنة الدينية. ومن الأمكنة التي وصفها في مدينة دمشق، المساجد، والمدارس، والمارستانات، والكنيسة والقلعة لكنه أسهب القول في وصف المسجد الجامع أكثر من بقية الأمكنة حيث استغرق وصفه له زهاء تسع عشرة صفحة، من صفحة ٢١٠ إلى ٢٢٨ فهو يتعمق في هذا البناء ويشرح جميع متعلقاته وكل ما يرتبط به من الرؤوس والقبور والمشاهد. لكن في وصف المدارس التي قال إنَّ في مدينة دمشق عشرين مدرسة (أنظر: ابن جبير، ١٩٩٠: ٢٢٩) لم يسهب القول فيها وانحصر وصفه عنها في مدرسة واحدة مسماة بمدرسة نور الدين، وارتكز حديثه فيها على شخصية نور الدين الدينية وسلطنته العادلة. وتوقفه عند هذه المدرسة

لا يعود إلى المدرسة نفسها وإنما يعود إلى شخصية نور الدين الدينية والفقهية. على أية حال فقد تناول رحالتنا هذه المدرسة فحسب ولم يعرّج على المدارس الأخرى.

ويكمن غالباً في توفقه على الأمكنة الدينية دافع ديني كما نجد في وصفه للمارستانين اللذين قال عنهما: «وبها مارستانان قديم وحديث، والحديث أحفلها وأكبرها» (المصدر نفسه: ٢٣٠). ثم يردف قوله: «هذه المارستانات مفخر عظيم من مفاخر الإسلام» (المصدر نفسه: ٢٣١). إنه وصفها على وجه الاختصار، وحين يسهب القول في وصفها يسوق وصفها نحو فكرة أو ثقافة دينية و ما يقارنها. كما ارتكز في وصفه عن المارستانات على شخصية مسمّاة بنصر الله، فهو أصبح معتموهاً بينما كان حافظاً للقرآن، وحين يسئلونه أن يتلو القرآن بالاعتماد على ذاكرته فما يذكر شيئاً منه إلا الآية: «إذا جاء نصر الله» (المصدر نفسه: ٢٣٠).

أما الأمكنة الدينية في الحجاز فتحظى باهتمامه بحيث حين يصل إليها يجتاحه الوجد والشوق ويصفها بالتبجيل والتقدّيس. وفي النموذج التالي نرى حديثه عن وصوله إلى الحجاز وإعجابه بها: «طلع علينا وتبوأنا مقعد الجدار الكريم وحرّم الله العظيم والقبة التي فيها مقام إبراهيم ومبعث الرسول ومهبط الروح الأمين جبريل بالوحي والتنزيل، فأوزعنا الله شكر هذه المنّة وعزّفنا قدر ما خصنا به من نعمة وختم لنا بالقبول» (المصدر نفسه: ٥١).

وعلى هذا النمط نجد لا يترك مكاناً في أرض الحجاز الدينية ولا يتعامل مع هذه الأمكنة تعاملًا محايداً فيصفها مشحوناً بالنخوة الدينية والحفاوة الإسلامية. و«لهذا نجد المكان الديني هو من أكثر الأمكنة التي نالت نصيباً وافراً من التفصيل الدقيق أينما وردت، ففي أوصاف ابن جبير صورة دقيقة للمدينة المنوّرة تنقل تفصيلات مساجدها ومشاهدها المكرمة وبيوتها وجبالها» (الهروط، ٢٠٠٨: ٥٩).

٤.٤ توظيف الشخصيات الدينية

تقتضي الرحلة أن تكون صورة كاملة عن المدن والمشاهد التي شاهدها الرحالة أثناء سفره وأن يصف أعاجيبها ونوادرها لكن المهم عند ابن جبير أن يتحدث عن كلّ ما يتعلق بالدين فلذلك نجد غلبة الخطاب الديني في رحلته ومن تظاهرات هذا الخطاب هو توظيف الشخصيات الدينية كما هو الحال في الروايات الحديثة المعاصرة. والتوظيف الديني يشمل مستويات عديدة ومختلفة «كتوظيف البنية الفنية واستحضار الشخصيات الدينية وتصوير شخصية البطل في ضوءها، وبناء أحداث الرواية في ضوء أحداث القصة الدينية، بالإضافة إلى التنوع في إدخال النص الديني في الرواية» (وتار، ٢٠٠٢: ٢٠٥).

لقي التراث الديني والإسلامي في رحلة ابن جبیر صدى واسعاً حيث إنَّ القارئ يتزود بمعلومات جمّة عن التراث الديني الذي أُلِّم به الكاتب في رحلته من الشخصيات الدينية وثيمات الثقافة الإسلامية ومجالس الوعظ والنصوص القرآنية والأحاديث الشريفة التي تفوح فيها بكثرة. فمن ثمَّ تعدّ رحلة ابن جبیر مصدراً هاماً لمعرفة المدن الإسلامية وشخصياتها وثقافتها.

عني ابن جبیر عناية فائقة بالشخصيات الإسلامية وهي إما حاضرة في زمن كتابة رحلته أم متوفاة. فهو ذكر أسماء الزهاد والعلماء المسلمين وصحابة النبي(ص) عند زيارة قبورهم والشخصيات الباسلة التي دافعت عن المدن الإسلامية مقابل الصليبيين [٢]. ومن أكثر الشخصيات أهمية عند ابن جبیر التي يذكّرها بالإجلال دائماً، نور الدين الزنكي وصلاح الدين الأيوبي. إنه يقف عند شخصية صلاح الدين و ما بذله من المساعي الحميلة لدعم المملكة الإسلامية و الذود عن حياضها وهو «الذي حلّت قدرته ولايضع أجر من أحسن» (ابن جبیر، ١٩٩٠: ٢٨). ومن مفاخره حسب قول ابن جبیر: «إزالته رسم المكس المضروب على الحجاج مدة دولة العبيديين» (المصدر نفسه: ٢٧).

ويشرح أعمال السلاطين الموحدية بالإجلال والتعظيم ويعرّفهم سلاطين عباقرة مشاهد أمثالهم العالم ويدعي أن الدعوة المؤمنية الموحدية في القاهرة من المشاهد البديعة التي رآها الكاتب: «من عجيب ما شاهدناه في أمر الدعوة المؤمنية الموحدية وانتشار كلمتها بهذه البلاد واستتعار أهلها ملكتها أن أكثر أهلها بل الكلّ منهم يرمزون بذلك رمزاً خفياً حتى يؤدي ذلك بهم إلى التصريح» (المصدر نفسه: ٥٠).

من السلاطين الإسلامية الأخرى التي ذكرها ابن جبیر بالتبجيل والإجلال هو صلاح الدين أبوالمظفر يوسف بن أيوب، سلطان الإسكندرية. وقد رأى الكاتب أنه سلطان عادل قد وضع رسوماً كريمة في بلاده، ويقول عنه: «مآثر هذا السلطان ومقاصده في العدل ومقاماته في الذبّ عن حوزة الدين لأخصى كثرة» (المصدر نفسه: ١٦).

وهكذا إنَّ ابن جبیر حين يمزّ على بلدة من البلدات التي زارها طيلة سفره يحتفل بالسلاطين الإسلامية والدينية التي لهم الفضل في الحفاظ على الحدود الإسلامية، ويثري رحلته بأوصاف وافية عن مكارمهم ومناقبهم ويعرّفهم سلاطين في غاية الإجادة والحسن لا مثيل لهم في العالم فيجب أن يقتدي بهم. وهكذا نسمع في رحلته مواصفات هذه السلاطين الإسلامية التي تزيد من غلبة الخطاب الديني في رحلته. والمهم أن اهتمام ابن جبیر بالسلاطين ووزرائهم ينشأ من أعمالهم الدينية ومدى التزامهم بالمبادئ الإسلامية إذ يتحدث عن كلّ سلطان أو وزير اشتهر بسلوكه الإسلامي وتصرفاته الدينية وإلا فليس له حظوة ومكانة لدى الكاتب، كما نجد في حديثه عن الوزير جمال الدين، لقيامه بالأعمال الكريمة والدينية في مكة:

وكان رحمه الله، وزير صاحب الموصل، تهادى على هذه المقاصد السنوية المشتملة على المنافع العامة للمسلمين في حرم الله تعالى وحرّم رسوله، صلّى الله عليه وسلّم، أكثر من خمس عشرة سنة، ولم

يزل فيها باذلاً أموالاً لا تحصى في بناء رباع بمكة مسبلة في طرق الخير والبر، مؤبدة، محبسة، واحتفاظ صهاريج للماء، ووضع جباب في الطرق يستقر فيها ماء المطر، إلى تجديد آثار من البناء في الحرمين الكريمين (المصدر نفسه: ٩١).

تحدث ابن جبير في رحلته عن الشخصيات الدينية والفقهية والعلمية وتطرق إلى أوساطهم العلمية والقضايا المطروحة فيها في غاية الإسهاب، ولا ينسى أن ينم عن خصالهم الحميدة وأخلاقهم الجديرة بالإعجاب والدهشة. في النموذج التالي يعرب الكاتب عن استغرابه لشخصية من الشخصيات الدينية:

حضر ذلك اليوم مجلسه سيد العلماء الخراسانية، ورئيس الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بمرّ عظيم وتطريف أفاق، تشوقت له النفوس، فأخذ الإمام المتقدم في وعظه مسروراً بحضوره، ومتحملاً به، فأثنى بأفانين من العلوم. ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندی المتقدم الذكر في هذا التقييد، المشتهر المآثر والمكارم، المقدم بين الأكابر والأعظم (ابن جبير، ١٩٨١: ١٧٥).

لا يتسع لنا المجال أن نستعرض هنا جميع الشخصيات التي عني بها ابن جبير في رحلته ومن المعلوم أنه قد نظر إلى هذه الشخصيات نظرة تعظيم و تبجيل وتناولها بالإسهاب ولم يقف منها موقفاً محايداً غير ملازم للإجلال والاهتمام.

٥.٤ تصوير العقائد الدينية

التعامل المحايد والمتعادل هو من المقومات الرئيسة للعمل الأدبي التي تتسبب في قيمته وفائدته. في الواقع ينبغي أن يخلق العمل الأدبي بمنأى عن الأفكار الذاتية التي يدين بها الكاتب، هذا هو ما يجاهر به البرناسيون في آرائهم النقدية والأدبية وإنهم يرون الفنّ للفن. أما في واقع الأمر فنحن نعرف أن العمل الأدبي لا يخلق في الفراغ فلا يمكن أن تتحقق هذه الفكرة في أرض الواقع، ومرّد ذلك إلى أنّ المبدع لا يعرض أفكاره بمعزل عن المؤثرات الاجتماعية والمتغيرات السياسية والحقول الفكرية التي ارتوى منها ليقتلع تماماً عن هذه المؤثرات والمؤشرات. مع ذلك نحن نعرف أن الاندفاع في الإيدئولوجية المحددة والانغماس فيها في خلق الأثر ينتقص من قيمته ولاسيما في الأثر التاريخي والرحلات وما يضاهاهما من المؤلفات الأخرى التي يجب أن تنعكس عليها الوقائع. فمن ثم كان ولايزال أصحاب الرحلات والتواريخ المتزلفون لذوي السلطان والمتحيزون لاتجاه على الآخر عرضة للنقد واللوم وتندرج آثارهم في مرتبة أدنى من الأهمية.

والقضية التي تتبادر إلى الأذهان هو مذهب ابن جبير في رحلته من حيث الفكرة والعقيدة والإيدئولوجية. في الواقع أن هذه الدراسة حاولت رصد تظاهرات أدت إلى غلبة الخطاب الديني في رحلة

ابن جبير. من هذا المنظور يجب أن نقول إنّ ابن جبير يعد كاتباً متحيزاً للإسلام ناشراً لعقائده وقد نراه يقلب الوقائع دفاعاً عن الإسلام كما نرى بغضه للفاطميين وتسميتهم بالعبديين. نقده للفاطميين يعود إلى التقاليد والبدع التي وضعها الفاطميون في مصر ثم قضى عليها صلاح الدين الأيوبي. والمهم أن الكاتب يناقش هذه القضايا حسب مذهبه الفكري ويفرض عليها عقائده الدينية «ولا يفوته كذلك تسجيل انتقاداته على ما لا يروقه من تصرفات الحكام المشاركة كسوء معاملتهم للحجيج» (نواب، ١٩٩٦: ٧١-٩١). وينسب مثل هذه الأمور إلى الفاطميين أيضاً ويرفع من شأن الموحدين.

إذاً قد يفرض ابن جبير أفكاره الدينية على الحوادث والأمكنة التي شاهدها في رحلته، وسبق أن قلنا إن الأساس في الرحلة أن تصف كل ما يراه الرحالة أثناء سفره وصفاً محايداً ويترك الأمر للقارئ ويظهر هو كمصوّر الأشياء. أما ابن جبير فإنه يقف موقفاً معارضا لكل ما يجده مخالفاً لعقائده وأفكاره ولا يقيم له وزناً ويعده من أفعال الشيطان ومن الفتن التي يجب أن يتنحى عنها الإنسان. وفي المقابل إذا وجد مشهداً يتفق مع أفكاره وآرائه الدينية يشرحه بالتفصيل والتعظيم كما نرى في حديثه عن أعمال سلطان القاهرة حين يعد المرافق العامة في القاهرة من المساجد والمدارس والحمامات ودائرة الأوقاف من خدمات سلطانتها (أنظر: ابن جبير، ١٩٨٥: ١٥). أما حين يشرح مشهد عرس فرنجي فإنه يستعبد بالله من الفتنة التي تنشأ من أمثال هذه المشاهد:

«فأدانا الاتفاق إلى رؤية هذا المنظر الزخرفي المستعاذ بالله من الفتنة فيه» (ابن جبير، ١٩٨٣: ٢٥١).

وإنه يعني من الفرنجي نصرانيا والكاتب يكره النصارى ولا يحتفي بهم كما نجد في النموذج التالي الذي يعد فيه تنصّر أحد المسلمين من الأعمال التي تجر عليه سوء العذاب:

«وما زال الشيطان يستهويه ويغريه إلى أن نبذ دين الإسلام فكفر وتنصّر مدة مقامنا بصور. فانصرفنا إلى عكة وأعلمنا بخبره وهم بما قد بطس ورجس، و قد عقد الزنار، واستعجل النار وحققت عليه كلمة العذاب ...» (ابن جبير، ١٩٨٢: ٢٥٤).

هكذا قد تنأثرت آراء الكاتب الدينية في تضاعيف رحلته وتسببت في أن تحظى الرحلة بالخطاب الديني.

٥. النتائج

حاولت هذه الدراسة أن ترصد التظاهرات الدينية التي توفرت في رحلة ابن جبير وتوصلت من خلال دراستها إلى النتائج التالية:

١. أورد الكاتب ومضات وبتفأ دينة عديدة في ثنايا رحلته حيث نلمس بوضوح التظاهرات الدينية ومكوناتها لدى الكاتب والتي تتراءى لنا في التزامه بالواقعية وشرحه الفضفاض للأمكنة الدينية وعصبيته الدينية للمدن والمعتقدات الإسلامية واستطاع أن يضفي على رحلته روحاً إسلامية حيث كوّن رحلة دينية تدخل في عداد الأدب الإسلامي.
٢. سار ابن جبير على دروب من ألقوا الرحلات الحجازية وحاول أن يعرض التظاهرات الدينية في البلاد الإسلامية وأكثر من الوقوف في الحجاز ووصف أبنيتها الإسلامية. وقد غلب الخطاب الديني والروح الإسلامية على رحلته كما هو الحال في سائر الرحلات الحجازية.
٣. استطاع ابن جبير أن يزود القارئ بمعلومات كثيرة ومستوعبة عن أوضاع الإسلام في المدن التي زارها أثناء رحلته وتحدث عن الشخصيات والمعتقدات الإسلامية والأمكنة الدينية وتحدث حديثاً مفصلاً عن المساجد والجوامع التي تدل على كثرة المراكز الدينية والعبادة في تلك الفترة من الزمن كما عرض تفاصيل دينية أخرى يطلع عليها القارئ عبر قرائته للرحلة.
٤. بقراءة هذه الرحلة ودراسة التظاهرات الدينية في تلك الفترة نتدي إلى أوضاع البلاد الإسلامية قبل الزحف المغولي الغاشم، ومن المعلوم أنّ هذه البلاد كانت تسير في غاية الضعف والتدهور حيث إن وصف ابن جبير عن دار السلام (بغداد) يدلّ على أحوال المدينة المتدنية وأحوال الخلافة العباسية المتأزّمة التي لم تقدر على الصمود في وجه المغول. وتلك التظاهرات الحضارية والدينية التي تحدث عنها ابن جبير في رحلته كالجوامع، والبيمارستانات والمدارس والحمامات كانت حصيلة جهود الخلفاء الأقدمين أو الولاة المسلمين كالأيوبيين والموحدين.

الهوامش

١. قال الله تعالى في الآية السادسة من سورة لقمان: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.
٢. الجدير بالذكر أنه ألق رحلته أثناء الحروب الصليبية التي امتدت من سنة ١٠٩٦م إلى سنة ١٢٩١م.

المصادر والمآخذ

القرآن الكريم.

ابن جبير، أبو الحسن (١٩٨١م). رحلة ابن جبير، بيروت: مكتبة الهلال.

ابن خطيب، لسان الدين (١٩٩٧م). الإحاطة في أخبار الغرناطة، القاهرة: مكتبة الخانجي.

- حمداوي، جميل (۱۹۹۷م). «السيمبوتيقا والعنونة»، مجلة عالم الفكر، الكويت: وزارة الثقافة، العدد ۳، المجلد ۲۵، صص ۹۱-۱۰۶.
- حميدة، عبدالرحمن (۱۹۹۵م). أعلام الجغرافيين العرب، دمشق: دارالفكر المعاصر.
- السرچاني، راغب (۲۰۰۹م). ابن جبير الجغرافي الفاضل: islamstory.com/ar.
- شقران، نهلة (۲۰۱۰م). رحلة ابن جبير، دراسة تركيبية وصفية؛ عمان: آلان ناشرون.
- (۲۰۱۵م). خطاب أدب الرحلات في القرن الرابع الهجري، عمان: آلان ناشرون
- ضيف، شوقي (۱۹۶۹م). الرحلات، القاهرة: دار المعارف.
- عكاوي، رحاب خضر (۱۹۹۴م). موسوعة عباقرة الإسلام، بيروت: دارالفكر العربي.
- عباس، احسان (۲۰۰۱م)، دراسة في الرحالة ابن جبير الأندلسي البننسي الكناني، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- عبدالفتاح، عثمان (۱۴۲۲ق). «القصة القصيرة الإسلامية»، مجلة الأدب الإسلامي، العدد الثلاثون، صص ۶۷-۸۲.
- العفيفي، محمد الصادق (۲۰۱۰م). تطور الفكر العلمي عند المسلمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عوض، ابراهيم (۱۹۹۲م). رحلة ابن جبير الأندلسي؛ دراسة في الأسلوب، القاهرة: مطبعة الأوفست الحديث.
- غوتيرث، اغناطيوس (۲۰۱۰م). أسفار الأندلسيين؛ دوحة: المؤتمر الدولي الأول.
- حسين، حسني محمود (۱۹۸۳م). أدب الرحلة عند العرب، بيروت: دار الأندلس.
- نواب، يوسف (۱۹۹۶م). الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض: لا.ب.
- المقري التلمساني، أحمد بن محمد (۱۹۶۸م). نفع الطيب من غضن الأندلس الرطيب، بيروت: دار صادر.
- ميلاني، عباس (۱۳۷۸ش). تجدد و تجدد ستيزي در ايران، طهران: اختران.
- وتار، محمد رياض (۲۰۰۲م). توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- الهروط، بلال سالم (۲۰۰۸م). صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، رسالة الدكتوراه، جامعة مؤتة، عمادة الدراسات العليا.